الفصل الثانى

بداية عصر الولاة فى مصر

باتمام الفتح الإسلامي لمصر عام 642م، أصبحت مصر جزءًا مهما من كيان الدولة الإسلامية، وأقبل الأقباط على اعتناق الإسلام، وتوالت الهجرات العربية إلى مصر، واتخذت مصر طابعًا مميزًا لها عن سائر الولايات الإسلامية، حيث اندمج الأقباط والمسلمين اندماجًا رائعًا جعل لمصر مكانة مميزة في قلوب المسلمين.

على أي حال فإن فتح مصر تم في عهد الخليفة الراشد الثاني (عمر بن الخطاب)، والذي بدأت الدولة الإسلامية تتخذ في عهده شكل الدولة بمفهومها من حيث المؤسسات المختلفة والمتخصصة التي تدير الدولة وترعى شئونها، كما قام الخليفة عمر بن الخطاب باستحداث العديد من الأنظمة الإدارية والتي كانت ضرورية مع

اتساع الدولة الإسلامية، وذلك لإحكام السيطرة على الدولة شاسعة المساحة ومتعددة الأعراق.

من أهم التنظيمات الإدارية للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، هو تقسيم الدولة الإسلامية إلى ولايات، وعلى كل ولاية وال يعين من قبل الخليفة يقوم على إدارة شئون الولاية من خلال تنفيذ أوامر وتوجيهات الخليفة، وكانت المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية كما كانت في عصر النبي ﷺوخليفته الصديق، واستمر نظام الولاية معمولا به فيما تلى الخليفة عمر بن الخطابﷺ من خلفاء وعصور إسلامية مختلفة، مع بعض الاختلافات والتي ستتضح معنا في الفصول القادمة.

وقد حكم مصر في عصر الولاة الذي يمتد من الفتح العربي الإسلامي إلى قيام الدولة الطولونية في مصر حوالي 65 أو 66 واليًا، أولهم فاتح مصر عمرو بن العاص، وأربعةعشر من بني هاشم، وعشرة من قريش، وأربعون من الموالي.[1]

وكان للوالي في مصر إختصاصات الخليفة من حماية الولاية والناس، ومباشرة شئونهم الدينية وجمع الضرائب والانفاق منها

1– أ.د. عصام الدين عبد الرءوف – المرجع السابق – ص51

على الولاية، وإرسال الفائض إلى بيت مال المسلمين في المدينة المنورة.

• أشهر ولاة مصر

عمرو بن العاص:

بعد إتمام فتح مصر، قام الخليفة عمر بن الخطاب بتعيين القائد عمرو بن العاص واليًا على مصر، وتعتبر هذه الولاية هي ولايته الأولى على مصر، والتي انتهت فترتها بإستشهاد الخليفة عمر بن الخطاب عام 23هجرية.

قام عمرو بن العاص بالعديد من الأعمال المهمة خلال فترة ولايته الأولى على مصر، كان أهمها حرصه على نشر الإسلام بين المصريين بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم يجبر أحد على الدخول في الإسلام.

كان عمرو بن العاص له علاقة قوية بالمصريين، حيث كثيرًا ما قد أتى إليها متاجرًا قبل الإسلام.

بنى جامعه والذي يعرف باسمه حتى يومنا هذا في حي مصر القديمة، وهو يعتبر أول جامع كبير في مصر، بل وفي قارة أفريقيا كلها.

اهتم بالزراعة باعتبارها أهم مورد إقتصادي في مصر، وأقام مقياسًا على النيل لتقدير منسوب المياه.

أما عن عاصمة الولاية، فقد أراد عمرو بن العاص اتخاذ مدينة الإسكندرية عاصمة لولاية مصر، وأرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه في ذلك، إلَّا أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رفض حتى لا يكون بينه وبين المسلمين في مصر ماء، كما أن موقع الإسكندرية على البحر المتوسط يجعلها مطمعًا لهجمات الدولة البيزنطية المتكررة.

قرر عمرو بن العاص إقامة عاصمة جديدة لمصر، ووقع اختياره على منطقة قريبة من حي مصر القديمة، وأطلق عليه الفسطاط أي الخيمة أو المعسكر نسبة إلى فسطاط عمرو بن العاص بها.

قام عمرو بن العاص كذلك بإعادة حفر القناة القديمة للمصريين القدماء زمن سنوسرت الثالث والتي كانت تسمى سيزوستريس، وأطلق عليها خليج أمير المؤمنين نسبة إلى الخليفة عمر بن الخطاب، وهي قناة تربط البحر الأحمر بنهر النيل ومن ثم البحر المتوسط، وكان لها فوائد تجارية عظيمة، إلَّا أن الغرض الرئيس من حفرها كان تسهيل الاتصال بين عاصمة الخلافة في المدينة من جهة وبين الفسطاط في مصر من جهة أخرى.

لم تكن الفسطاط المدينة الوحيدة التي شيدها عمرو بن العاص

في مصر، حيث قام ببناء مدينة الجيزة والتي تعني الناحية أو الجانب، وجمعها جيز، والجيز جانب الوادي، والجيزة اسم لقرية بجانب النيل من ناحية الغرب تجاه الفسطاط، اتسعت حاليا لتكون واحدة من أكبر محافظات مصر.

عبد الله بن أبي السرح:

عهد عمر بن الخطاب في أواخر أيامه بولاية صعيد مصر إلى عبد الله بن أبي السرح، وبذلك تضاءل نفوذ عمرو بن العاص في مصر، فلم يعد يحكمها كلها، إنما حكم قسمًا منها، فلما توفي عمر بن الخطاب سنة 23هجرية، وخلفه عثمان بن عفان، ضم الأخير ولاية مصر كلها لعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعزل عمرو بن العاص، وبهذا انتهت فترة ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر والتي استمرت أربع سنين وعدة أشهر.

ويعتبر عبد الله بن أبي السرح من أشهر الأبطال العرب والمسلمين الذين حققوا انتصارات جليلة على الروم، وأصبحت مصر في عهده مركزًا لانطلاق الفتوحات غربًا وجنوبًا، وحقق المسلمون في عهده أول وأهم الانتصارات البحرية في تاريخ الدولة الإسلامية، وكان ذلك في معركة ذات الصواري في البحر المتوسط عام 34هجرية.

معركة ذات الصواري 34 هجرية:

هي أول معركة بحرية للأسطول الإسلامي، وكانت ضد أسطول الروم البيزنطيين، ويبدو أن القتال في بدايته كان تراشقًا بالنبال والنشاب، فلما نفدت السهام اقتتل الفريقان بالحجارة، واتخذ المسلمون خطة حربية قوية، فربطوا سفنهم بالسلاسل مما جعل اختراق سفن الروم لصفوفهم أمرًا صعبًا.

في نفس الوقت استخدم العرب خطاطيف طويلة كانوا يقذفونها على سفن العدو، فيصيبون بها صواريهم ثم يجرونها إلى جوار سفنهم، فأصبحت المعركة وكأنها معركة برية، وكان النصر حيلف الأسطول الإسلامي.

من المعارك المشهورة التي انتصر فيها عبد الله بن سعد أيضًا معركة سبيطلة، كما اتجه بالفتوحات جنوبًا حتى وصل دنقلة وأخضع النوبة إلى نفوذ الدولة الإسلامية.

أما عن سياسة عبد الله بن أبي السرح الداخلية في مصر، فيبدو أنها لم تسد الفراغ الذي تركه عزل عمرو بن العاص، واشتد بن أبي السرح في جمع الضرائب، مما كان له أثر كبير في انضمام أهل مصر إلى حركة المعارضة التي كانت ضد أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وهي ما عرفت باسم الفتنة الكبرى.